

سلسلة عرفت الحقيقة (١)

الإمامة والخلافة

تأليف:

الأستاذ الكبير

حيدر علي قلمداران القمي

١٣٣٣هـ - ١٤٠٩هـ

راجعته وصححه وعلق عليه:

عبد الله سلمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى
آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين.
أما بعد:

أخي القارئ الكريم:

أضع بين يديك رسالة قيمة نافعة سطرها الأستاذ حيدر علي قلمداران
القُمي تحدث فيها عن موضوعين في غاية الأهمية وهما الإمامة والعصمة.
أخي الكريم:

إن الوحدة الإسلامية مطلب مُلح في هذه المرحلة من حياة الأمة، وإن أعظم
طريق للوحدة الإسلامية أن ينظر كل مسلم ما عنده من تراث وأفكار بعين
الطالب للحق الباحث عن الحقيقة، لا يهمه أن يظهر الحق على لسانه أو لسان
غيره سائراً أما يراه من روايات وأقوال جاعلاً القرآن وصحيح الروايات مطلبه
ومقصده، وهذه الرسالة خطوة مباركة في طريق الوحدة الإسلامية.

أخي الكريم:

هذه الرسالة خطوة مباركة في طريق الوحدة الإسلامية، وقد كتبها الأستاذ
حيدر قلمداران باللغة الفارسية وقد تم ترجمتها إلى اللغة العربية ثم مراجعة
الترجمة والتعليق عليها، فأرجو منك أن تعيش في صفحاتها وأنت متجرد لطلب
الحق والهدى، والأستاذ حيدر قلمداران له أيضاً كتاب آخر هو طريق الاتحاد
والتوسع وهو من عنوانه دعوة لوحدة الأمة الإسلامية فاحرص أخي على
الإطلاع عليه.

أخي الكريم:

نحن أيضاً ندعو على لسان الأستاذ حيدر علي قلمداران وغيره من دعاة
الإصلاح الديني وجمع كلمة الأمة لاسيما آية الله السيد أبو الفضل بن الرضا
البرقي القمي رحمه الله، بالكف عن الدعوة إلى التفرقة وزرع الحقد والكراهية

أخي الكريم:

قبل أن أدعك تُقَلِّب هذه الصفحات أتركك مع ترجمة مختصرة لراقم هذه الصفحات لترى مثلاً حياً لتضحية رائعة في سبيل وحدة الأمة ولترى ذلك المؤمن الشجاع الذي يعز أمثاله، فهذا العمل المتواضع مناً وفاءً لبعض خدماته الجليلة النادرة الخالصة التي قدمها للإسلام والشريعة الإسلامية وللحركة الإصلاحية الدينية في إيران.

ومن حق الأستاذ علينا أن نكتب عنه ترجمة مفصلة تليق به وبشخصيته العلمية، ولكن لم يتيسر ذلك ولكن نأمل تحقيق ذلك في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

والله أسأل أن يوفقني وإياك للهدى والخير.

كتبه عبد الله سلمان

٢٠٠٦/١١/١٥ م

من هو الأستاذ حيدر قلمداران رحمه الله؟

الحمد لله الذي يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، والصلاة والسلام على من أرسل لتبليغ الدين بدعوته، وعلى جميع الأطهار الأخيار من صحبه وعترته.

وبعد:

فالهداية إلهية ومنة ربانية لا يملكها ولا يستطيع التصرف فيها حتى الملائكة والأنبياء عليهم السلام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]

عدة سنوات مرت على وفاة المفكر الإسلامية والعالم الداعية الأستاذ حيدر علي قلمداران رحمه الله عليه، وها نحن قد وفقنا الله تعالى أن نقدم نبذة مختصرة عن حياته النضالية وآثاره العلمية بين يدي أحد رسائله (الخلافة والإمامة) والمترجمة إلى اللغة العربية.

أرنا نشر هذه الرسالة الصغيرة في حجمها، الكبير في مضمونها، القوية في استدلالها، والرائعة في أسلوبها وصياغتها بغية مرضاة الله تعالى أولاً وجمع كلمة المسلمين حول الحق ثانياً.

المولد والنشأ:

حيدر علي بن إسماعيل قلمداران القمي ولد في عام ١٣٣٣هـ — في قرية ديزيجان — تبعد من قم ٥٥ كيلومتراً في طريق قم / أراك بعد قرية زواريان — من توابع مدينة قم، في أسرة فقيرة، لم يكن يتجاوز الخامسة من عمره حين توفيت والدته، وبما أن والده لم تكن حالته المادية ميسورة، ولا يستطيع دفع أجرة المكتب^(١) في القرية الذي كانت تديره عموز تعرف باسم زوجة الشيخ، فلم يكن يملك هلتين حتى يدفع أجرة المكتب، فحُرم من الدراسة، ولكنه أخذ يقف

(١) المكان المخصص للدراسة.

خلف الباب ويستمع سرّاً إلى درس القرآن من زوجة الشيخ وهكذا استفاد من الدرس مثل بقية الأطفال.

من الذكريات الجميلة:

يقول الأستاذ:

(ذات مرة وفي يوم من أيام الشتاء القارص، كنت واقفاً خلف الباب أستمع إلى درس المعلمة ونعلاي في الطين، فسألت المعلمة الطلاب عدة أسئلة فلم يجبها أحد فأجبت عن جميع الأسئلة من وراء الباب، فكانت النتيجة أن أشفقت عليّ المعلمة وسمحت لي بحضور الدرس بشرط أن أجلس زاوية حتى لا أوسخ الفراش، وهكذا قبلت مجاناً للدراسة في المكتب.

كلما مرت الأيام ازداد شوقي وتعطشي للدراسة والكتابة، وبما أنني لم أكن أملك أوراقاً ولا قلماً، فكنت أقطع الحواشي الزائدة من أطراف المصاحف من مسجد القرية وأكتب عليها، وأما القلم فكنت أستخدم الفحم حتى أتمكن من التمرّن على الخط).

وعندما كان عمره ١٥ عاماً توفي والده، وهكذا بقي بدون ولي أو معيل، ولكنه لم يغفل عن القراءة والكتابة ولو كان بإنشاد الشعر. كان والد الأستاذ غليظاً سيئ الخلق رافضاً دراسة ابنه؛ لأنه كان يرى أن ابن المزارع يجب أن يساعد أباه في الأمور الزراعية، إلى درجة أنه لو رآه وهو مشغول بالقراءة أو الكتابة لانتهى الأمر إلى ضربه.

الدعوة والنشاط عند الأستاذ قلمداران:

تزوج الأستاذ في سن السابعة والعشرين، وانخرط في سن الثلاثين بخدمة إدارة الثقافة في قم، وعندما اشتد قلمه ووسعت دائرة دراساته وتحقيقات بدأ يكتب في بعض الجرائد اليومية كـ "استوار" و "سرجشمه" في قم وجريدة "وظيفة" في طهران، كان يكتب بشكل يومي ومستمر مقالات متنوعة

متسلسلة، كما كانت مجلة يغما أيضاً تستفيد من مقالات وأشعار الأستاذ الجميلة، كما كان يكتب أيضاً مقالات متسلسلة فقهية ومهمة في مجلة الحكمة الغالية، التي كان يكتب فيها آية الله طالقاني والمهندس مهدي بازرگان كذلك.

الغيرة والحمية على الديني عند قلمداران:

وكانت روح الأستاذ المتيقظة المحبة للإسلام تجعله قوياً وغيوراً، لا يتحمل إساءة الأدب إلى الإسلام والشريعة المقدسة، أو لبعض أحكامه، ولا يستطيع السكوت تجاه ذلك، مهما كان موقع المسيء ومنصبه.

قال ذات مرة:

(كانت مجلة تنشر من قبل إدارة الثقافة، فنشرت مقالاً فيه إهانة للحجاب الإسلامي، فكتبت مقالاً قوياً صريحاً في رد هذا المقال وطبع في جريدة "استوار" اليومية في قم، هذه الخطوة مني كعضو في إدارة الثقافة أزعجت رئيس الإدارة وأثارت غضبه، وفي احتفال عام، ألقى كلمة سخيصة المضمون وانتقدني بشدة لماذا يقوم مثقف إيراني ويرد على مقال في مجلة الثقافة بهذه الطريقة؟ وهددني بالفصل عن العمل، فاستأذنت في الكلام، رغم أنني كنت أعرف أن الرئيس لم يكن يتوقع ذلك مني، وبكل صراحة رددت على كلماته السخيفة المزيفة أمام الجميع، كنت أرى كيفي يتقلب الرئيس ويتألم أثناء خطابي ويتغير لونه، وعندما انتهيت من كلامي قام الجميع وانتهى الاحتفال، ولكن بفضل الله تعالى لم يلحقني أي أذى بل نقل الرئيس بعد مدة قصيرة من قم).

علاقة الأستاذ قلمداران بالخميني:

يقول الأستاذ:

(كان سبب نقل رئيس ثقافة قم بمتابعة السيد الخميني، الذي كان يدرس الأخلاق آنذاك في قم، حيث أرسل بعد قضية إدارة الثقافة شخصاً إلى منزلي وقال: أريدك لعمل ما، وعندما ذهبت سألي عما حدث، وبعد أن شرحت له

الموضوع، قال: لا تخف أبداً لن يستطيع أن يفعل شيئاً، لن أسمح أن يطول بقاء هذا الرجل في قم، وإن عاد وقال لك شيئاً رد عليه، قلت: يا سيد أنا رددت عليه قبل أن تحموني، فما بالكم الآن بعدما وعدتم بالحماية؟ يفهم من هذا الكلام أن هذا الموضوع كان قبل نفي آية الله الخميني أي قبل عام ١٣٨٤هـ.

تأثير قلمداران على الآخرين:

تعرّف الأستاذ قلمداران رحمه الله بعدد من الشخصيات المعروفة في عصره منهم:

١- العلامة محمد الخالصي:

وهو عالم مجاهد مناضل من علماء العراق، بدأت معرفة قلمداران رحمه الله بالعلامة الخالصي رحمه الله مع ترجمة كتاب "المعارف الحمديّة"، واستمرت هذه المعرفة مع ترجمة كتاب "الإسلام سبيل السعادة والسلام" و"إحياء الشريعة" في ثلاثة مجلدات، وبقية آثاره العلمية، ونتج عن ذلك لقاءات ومراسلات علمية فيما بعد.

لا يفوتنا أن نذكر أن العلامة الخالصي تأثر بأفكار قلمداران رحمه الله الإصلاحية المتنورة، وهذا التأثير مشهود في بقية آثار العلامة التي كتبها فيما بعد، كما يفهم هذا التأثير من تقرّظ العلامة الخالصي على كتاب الأستاذ "ارمغان آسمان" وأذكر هنا جزء من التقرّظ:

(شاب مثل الأستاذ حيدر علي قلمداران في عصر الغفلة، وتجاهل المسلمين ونسيان التعاليم الإسلامية، بل وفي عصر الجاهلية يصل إلى حقائق الدين الإسلامي، ويقوم بكل شجاعة، ومن غير خوف ولا تردد بنشر هذه الحقائق بين الجهلة المعاندين!! كيف يمكن أن يؤدي الإنسان حق هذه النعمة؟)

الأستاذ قلمداران في أسفاره إلى العراق لاسيما كربلاء التقى بالعلامة آل كاشف الغطاء، والعلامة سيد هبة الدين الشهرستاني مؤلف كتاب "الهيئة

والإسلام" وتعرف عليهم، وكان الأستاذ قلمداران إضافة إلى مراسلاته الكثيرة مع العلامة الخالصي، يرسل العلامة الشهرستاني ويناقشه في بعض المسائل الكلامية.

٢ - المهندس مهدي بازركان:

يقول الأستاذ قلمداران بدأت أول معرفة بيني وبين المهندس بازركان بهذه الطريقة:

كنت يوماً على الشارع العام في انتظار الحافلة للرجوع من القرية إلى مدينة قم، وفي هذه الأثناء وأنا واقف مشغول بقراءة كتاب، فإذا سيارة خاصة كانت تقل عدة أشخاص، رجعت إلى الوراء وطلب مني الركاب أن أركب معهم، علمت أثناء الطريق أن أحد الركاب هو المهندس بازركان الذي كان آنذاك ١٣٧٢هـ مسئول عن صناعة البترول في إيران، وكان يرجع من آبادان قال لي السيد بازركان: كان أمراً لطيفاً بالنسبة لي أن أرى رجلاً قرب قرية وهو واقف يقرأ في كتاب، لذلك اقترحت على زملائي أن نرجع لكي نملك معنا.

كان هذا الحديث سبباً لزرع بذور المحبة بينهما، وقوي ذلك إلى حد أن استفاد المهندس بازركان في كتابه "البعثة والعقيدة" من كتاب الأستاذ قلمداران "الحكومة في الإسلام" كما أن بازركان أعجب بكتاب "هدية السماء" للأستاذ قلمداران، وكان قد مدح للدكتور علي شريعتي رحمه الله.

نقل أحد زملاء الأستاذ:

(أنه بعد قلب الحكم في ١٣٧٤هـ وسجن المهندس بازركان في "بادكان قصر" في طهران، ذهبنا مع الأستاذ قلمداران لزيارة المهندس بازركان، فسأل السيد قلمداران السيد بازركان، قائلاً: بأي ذنب سجنوكم؟ قال: يقول الملك: إن الرقبة فما تحت لكم وأما فوق الرقبة فهو لنا!)

وبعد خروج المهندس بازركان من السجن جاء أربع مرات إلى قم لزيارة الأستاذ حيدر علي قلمداران.

كان الدكتور شريعتي قد رأى كتاب "هدية الإله" - فرضية صلاة الجمعة - وبعد السماع عن كتاب "هدية السماء" للأستاذ قلمداران رحمه الله عن طريق الأساتذة والطلبة في الجامعة لاسيما المهندس بازرگان كان قد اقترب من الأستاذ قلمداران أكثر من ذي قبل، وهذا السبب الذي جعل الدكتور شريعتي يكتب رسالة بهذا الخصوص من باريس إلى الأستاذ قلمداران في عام ١٣٨٤هـ.

بعد الرجوع إلى إيران قام شريعتي لأحد زملائه الذي كان له علاقة بالأستاذ قلمداران قال: (إن لقلمداران دور كبير في توجيه أفكاري، أشتاق إلى لقائه، إن كنت تستطيع فنسق هذا اللقاء) ولكن مع الأسف لم يتم هذا اللقاء، والتحق الدكتور شريعتي برحلة ربه - إما توفي أو اغتيل كما يظن البعض -.

٤- الأستاذ مرتضى مطهري صاحب كتاب الملحمة الحسينية:

كان من العلماء الذين لهم علاقة سرية بقلمداران رحمه الله، ولكنه لم يظهر هذه العلاقة خوفاً من الآخرين وملاصمتهم، وكما قال الأستاذ قلمداران: إنه قال له مرة في لقاء عابر - إما في الطريق أو في رسالة والشك من الكاتب - : (قرأت كتابكم "هدية السماء" وهو جيد جداً).

مؤلفات الأستاذ:

- ١- ترجمة كتاب "المعارف المحمدية للعلامة" الخالصي.
- ٢- ترجمة "كتاب إحياء الشريعة" للعلامة الخالصي.
- ٣- ترجمة "كتاب الإسلام سبيل السعادة والسلام" للعلامة الخالصي.
- ٤- "هدية السماء" وهو مقالات نشرت في جريدة "وظيفة" في طهران.
- ٥- "هدية الإله" وهو في إثبات صلاة الجمعة وهو ترجمة لكتاب

- ٦- رسالة الحج أو مؤتمر الإسلامي الكبير.
- ٧- رسالة الملكية في إيران في نظر الإسلام.
- ٨- "مفضة الحسيني المقدس".
- ٩- "الحكومة في الإسلام".
- ١٠- "هل هم مسلمون؟" وهو ترجمة وصية الخالصي.
- ١١- "سبل النجاة من شر الغلاة" (٥ أجزاء).
- ١٢- "كتاب الزكاة".
- ١٣- "كتاب الخمس".
- ١٤- "طريق الاتحاد الواسع" وهو دراسة لنصوص الإمامة وقدي نشر هذا الكتاب سرّاً، وهو دراسة للأحداث التي حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسقيفة بني ساعدة، والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والإمامة التي أثارت الفوضى والأحقاد وهو من أهم كتبه وقد ترجمه الأستاذ سعد رستم وهو لم يطبع ولكنه منشور في الإنترنت.
- ١٥- "سنة الرسول من عترة الرسول".

وفاة الأستاذ:

بعد نشر الأستاذ كتابه طريق الاتحاد الواسع تعرض لمحاولة اغتيال في رمضان عام ١٣٩٩هـ فقد دخل عليه شاب في منتصف الليل وأطلق عليه النار ولكن الأستاذ نجاه الله وجرح في رقبته وقد ذكر الأستاذ أنه قبل الحادث بيوم جاء شاب من قم وسأله عدة أسئلة حول بعض المعتقدات والأفكار حول كتابه طريق الاتحاد.

وقد تعرض الأستاذ أيضاً للسجن في السجن الساحلي في قم فيقول الأستاذ: (كنت يوماً إثر جلطتين دماغيتين نائماً على السرير إذ جاءني رجلان من محكمة الثورة في قم إلى منزلنا وساقوني معهم بتهمة واهية هي مخالفة الثورة

الإسلامية إضافة إلى ذلك أخذوا معهم بعض كتيبي الشخصية من مكتبي ... ثم نقلوني إلى سجن قم الساحلي ولم يكن عندي في السجن إلا بطانية واحدة أفترشها وكان زجاج نافذة ... النزنانة مكسوراً بحيث لم أستطع النوم من شدة البرد بل كنت لاصقاً بالجدار إلى الفجر ولم أحصل على عشاء لأن غيري من السجناء نهبوا العشاء الموجود فقد أعطاني أحد المساجين قليلاً من عشاءه ... كان أولادي قد أخبروا آية الله المنتظري الذي كان في حينه نائب قائد الثورة الإسلامية فجاءني عدة أفراد من حراس الثورة سراعاً معتذرين لي، وأخرجوني من السجن وأخبروا أهلي أن يأتوني بملابس وبعد أخذ سند المنزل للرهن أطلقوا سراحني).

بعد هذه الرحلة المليئة بالمشاق والابتلاء والمجاهدة في سبيل نشر حقائق الدين الإسلامي والدفاع عنها وتحمل مرض شديد دام ثماني سنوات صبراً واحتساباً، توفي الأستاذ في فجر يوم الجمعة التاسع والعشرين من رمضان المبارك عام ١٤٠٩ هـ عن عمر يناهز ٧٦ عاماً وفي عصر ذلك اليوم شيع بواسطة عدد من زملاءه وتلاميذه بشكل بسيط بعيد عن البدع والتبخرات المعروفة، وصلى عليه ودفن في مقبرة في آخر شارع جهارمردان رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

طلبت مني أن أكتب حول مذهب الإمامية وفقهه إجمالاً فاستجبت لطلبك^(١) وأسأل الله تعالى أن يصونني بفضله العظيم من أيّ تعصّب جاهليّ ويُلهمني البصيرة والإنصاف وسأسعى أن يكون كلامي موجزاً والله المستعان

(١) هذا أسلوب درج عليه بعض المؤلفين لشد القارئ وكأن الرسالة كتبت لأجله شخصياً.

بُنِيَ أساسُ مذهب الإمامية في مقابل المذاهب الأخرى الإسلامية على أن الله اختار علياً عليه السلام وأحد عشر من أبنائه خلفاء لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الشورى للمهاجرين والأنصار لاختيار خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان باطلاً وغيره مشروع ولكن هذا الادعاء مخالف للرسالة الصريحة التي نقلها الإمامية عن علي عليه السلام كما جاء في "نهج البلاغة": "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين..."^(١)

وهذه الرسالة جاءت أيضاً في كتاب وقعة صفين من تأليف نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢هـ وهو من الكتب المعتمدة والقديمة عند الشيعة، والذي أعيد طبعه في إيران أخيراً.^(٢)

وهذه الرسالة يتوافق مع القرآن الكريم حيث يقول الله في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما يلاحظ أن المهاجرين والأنصاري وُعدوا بالجنة في هذه الآية الكريمة صراحة، وكذلك يقول الله فيهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. وإذا اجتمعت جماعة من أهل الجنة وتشاوروا بينهم واختاروا شخصاً إماماً للمسلمين، فهل هذا العمل مخالف لرضى الله تعالى؟ أم هو كما يقول علي عليه السلام:

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٦.

(٢) وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، ص: ٢٩.

عجباً أن فرقة الإمامية لا تعني بما تروي عن عليّ عليه السلام بنفسها ولا بالآيات القرآنية الصريحة!!

قال علي عليه السلام في "نهج البلاغة": (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها).^(١)

إن كان الله قد اختار علياً عليه السلام للخلافة وولاية المسلمين، فلماذا لم يكن راغباً فيها، وكان معرضاً عنها؟

وهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معرضاً وراغباً عن نبوته ورسالته أيضاً؟! إن كان الله قد اختار علياً عليه السلام للخلافة فلماذا بايع أبا بكر وعمر؟ كما صرحت بها كتب الشيعة "كالغارات" للثقفى، ومستدرک نهج البلاغة، وكتب أخرى لفرقة الإمامية.

نقرأ في كتاب "الغارات" لأبي إسحاق الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣هـ — أن علياً عليه السلام لما قُتل محمد بن أبي بكر كتب رسالةً إلى أصحابه في مصر متذكراً أبا بكر فيها ويقول: "فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته".^(٢)

ويقول في عمر رضى الله عنه: "تولى عمرُ الأمورَ وكان مرضي السيرة ميمون النقية".^(٣)

قال الجوهري في "الصحاح": "فلانٌ ميمونٌ النقية إذا كان مبارك النفس".^(٤)

هذه مفاد رسائل علي عليه السلام نقلها الشيعة بأنفسهم غير أهل السنة، وصرح

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٢١.

(٢) الغارات ٣٠٤/١، مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ١٧٤/٤، بحار الأنوار للمجلسي ٥٦٨/٣٣.

(٣) الغارات ٣٠٧/١، مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٢٧٥/١، بحار الأنوار للمجلسي ٥٦٩/٣٣.

(٤) الصحاح للجوهري ٢٢٧/١.

وهل البيعة من شخصٍ اختاره الله تعالى خليفةً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم صحيحة؟

وهل يثني محمد علي عليه السلام غاصباً أو ظالماً ويعده مرضي السيرة ميمون النقيبة؟ فلماذا لا ينصفون ولا يتقون الله؟

جاء في كتاب "وقعة صفين" أن علياً عليه السلام قال في أبي بكر وعمر: (أحسننا السيرة وعدلا في الأمة).^(١)

أما الشيعة الإمامية فتقول إنهما كانا ظالمين غاصبين إننا إذا عرضنا ادعاء الإمامية على القرآن وجدنا أن الله يقول في المهاجرين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أما الشيعة فتقول: لما أعطاهم الله القدرة غصبوا خلافة علي عليه السلام وظلموا وأذوا فاطمة الزهراء بكسر ضلعها.^(٢)

يقول الله تعالى في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا

(١) وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، ص: ٢٠١.

(٢) يقول آية الله العظمي محمد حسين فضل الله منتقداً قصة كسر ضلع فاطمة: (.. أنت إذا كان واحد جاء وهجم على زوجتك ويريد أن يضربها، هل تقعد في بيتك وبالغرفة وتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟! أو تهجم على الذي جاء يضرب زوجتك؟! علي بن أبي طالب سلام الله عليه، هذا الرجل الذي دوخ الأبطال يترك الجماعة يهجمون على الزهراء بهذا الشكل وهو قاعد في البيت ..) ثم يقول: (لماذا الزهراء تفتح الباب؟ .. أنت إذا كنت موجود في البيت وزوجتك موجودة ودق الباب أحد، خصوصاً إذا جاء رجال أمن ليعتقلوك، هل تقول لامرأتك: أنت اخرجي؟ ... يعني الإمام علي جبان، ما عنده غيرة!! يقولون: النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصاه، أوصاه بأن لا يفتح المعركة في الخلافة وليس أن لا يدافع عن زوجته) انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف ص ٢٧-٢٨.

أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ
وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ
الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أيقن لنا أن نعرض عن الآيات القرآنية ورسائل علي عليه السلام الموثقة، ونؤمن
بإدعاءات هذا وذاك، وبالتالي نضع الفارقة بين الأمة الإسلامية؟

ألم يقل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

ألم يقل علي عليه السلام في نهج البلاغة: "والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع
الجماعة وإياكم والفارقة"؟^(١)

عجباً ذلك اليوم الذي ازدحم المسلمون فيه على باب علي عليه السلام وأرادوا
منه أن يبايعوه وهو يقول: "دَعُونِي وَاتَّمَسُوا غَيْرِي".^(٢)

وعاقبة الأمر أن رضي بها بعد أن كان مُصراً على نبذها.

إن كان قد اختاره الله لخلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا هذا
الاستنكاف؟ ولماذا لم يقبل مهمته التي أعطاه الله إياها إلا بعد الإصرار الكثير؟
ولماذا كان يقتدي بالخلفاء في الصلوات؟ كما صرح به صاحب وسائل
الشيعة: "قد أنكح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلي علي عليه السلام
وراءهم".^(٣)

لماذا كان علي عليه السلام - بناءً على قول الإمامية - يؤيد الظالمين والغاصبين
والمبتدعين؟ هل هذا كله كان لتقوية الإسلام؟

(١) نهج البلاغة، ص: ١٨٤.

(٢) نهج البلاغة، ص: ١٣٦.

(٣) وسائل الشيعة ٣٠١/٨.

لماذا لا يوجد في القرآن اسمٌ ووصفٌ للأئمة الاثني عشر، ولكن جاء الكلام بالتفصيل حول أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وهارون وغيرهم. هل يمكن أن يسكت كتاب الهداية عما يسبب الاختلاف والفرقة بين الأمة في قرونٍ متعاقبة، ويبحث بالتفصيل في الأسلاف والقدمات؟ أين ذهب إنصافكم؟ نجد علماء الإمامية هداهم الله إلى طريق الحق والصواب يستشهدون بحديث الغدير مراراً وتكراراً وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختار علياً عليه السلام للخلافة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كان في الطريق بين مكة المدينة تحدّث بمناسبة خلافٍ كان قد حدث بين بعض الصحابة وعلي عليه السلام، عن ولاية علي عليه السلام، أي محبته، لا عن خلافته، لأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ" ثم أتى بالقرينة وقال: "اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه" ^(١) إذاً ما العلاقة بين المحبة والعون، وبين الخلافة؟

المولى هو الذي يجب أن نخبّه، ليس معناه الخليفة أو الوصي.

أين ثبت أن مَفْعَلٌ جاء بمعنى أَفْعَلٌ كي يتضح أن المولى معناه أولى؟

ليس في القرآن: ﴿...فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ...﴾ [الأحزاب: ٥]؟

ألم يأت في سورة التحريم: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ

الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التحريم: ٤]؟

هل (المولى) جاء بمعنى المتكفل والمراقب؟ وعلى هذا فالمؤمنون متكفلون

بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

يا له من فهم!! فلماذا لم يفهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الذين هم المخاطبون بهذه الكلمات في حديث الغدير بهذا المعنى الذي تدّعي

الإمامية؟

روى ابنُ عساكر عن حفيد عليٍّ عليه السلام حسن المثنى وهو يقول: (قيل: ألم يقل رسول الله من كنت مولاه فهذا علي مولاه؟ فقال: بلى ولكن والله لم يعن رسول الله بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به، فإن رسول الله كان أفصح المسلمين، ولو كان الأمر كما قيل، لقال: رسول الله: يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختاراً علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده، ثم ترك عليٍّ أمر الله ورسوله لكان عليٍّ أول من ترك أمر الله ورسوله).^(١)

انظروا كيف يحكم حفيدُ عليٍّ عليه السلام، ثم يأتي أناس يحرفون رسائل علي وأولاده ولا يبالون بذلك، ليكون كلامهم وآراؤهم مقدمة على كلام علي وأولاده؟ وينسبوا الضلالة إلى أكثر المسلمين من صدر الإسلام حتى يومنا هذا، ألا يخافون من الحساب يوم القيامة؟

وقد يستدلون في بعض الأحيان بما جاء في صحيح البخاري ما نصه: "ابتوي بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً" ثم يقولون إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك الكتابة لأن عمر بن الخطاب قال: "حسبنا كتاب الله"^(٢) وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبقاً لرأي الإمامية يريد أن يكتب شيئاً حول خلافة علي عليه السلام.

وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمياً وليس في استطاعته أن يكتب بنفسه، ولكن جاء في هذه الرواية "أن اكتب" وإن كان المقصود من الكتابة إملاؤها فيقول "أملني عليكم".

ثانياً: طبقاً لهذه الرواية فقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم — معاذ الله — وقوع الضلالة في الأمة حيث قال: "أكتب لكم" ولم

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦٩/١٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم برقم ١١٤.

يكتب، والقرآن الكريم يقول: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣].

ثالثاً: إن كان هذا الأمر من الله سبحانه فكيف يجوز أن يقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك أمر الله لأجل مخالفة عمر بن الخطاب؟

رابعاً: وإن كان الحديث صحيحاً، ولم يكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ولم يعين نائباً، فلماذا فرقة الإمامية تخالف الأمة الإسلامية وتنسب الضلالة إلى الآخرين على أمر لم يتم بعد.

خامساً: من أين لهم أنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كتب هذه الرسالة فإنه سيختار اثني عشر إماماً من أهل بيته هل عندهم علم الغيب؟ وكيف اطلعوا على ما في ضمير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

سادساً: إن كانوا يعتمدون على صحيح البخاري فلماذا لا يقبلون هذا الحديث الذي يقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد جبل أحد مع أبي بكر وعمر وعثمان وأشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجبل وقال: "فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان".^(١)

ويقولون: عندنا روايات كثيرة في علي عليه السلام يجب علينا أن نتبعها. ونحن نقول: هناك روايات كثيرة أيضاً في أبي بكر وعمر توجب علينا اتباعهما، ويمكن الجمع بين هذه الروايات ولا خلاف بين بعضها البعض أبداً كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "اقتدوا باللذين من بعدي

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لو

كنت متخذاً خليلاً) برقم ٣٤٩٦.

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر"^(٢) رواه الترمذي في صحيحه والآخرون بأسانيد مختلفة.

نحن لا ننكر فضل عليّ عليه السلام وأهل البيت، وكذا فضل عليّ على سائر الخلفاء^(٣)، ولكن مسألة اختياره من الله للخلافة أمرٌ لا يتوافق مع أحاديث عليّ عليه السلام نفسه التي جاءت من طرق الشيعة الإمامية فضلاً عن الروايات التي رواها أهل السنة.

مثلاً إضافةً على ما سبق يقول المسعودي الذي تعدّه الشيعة من أنفسهم^(٤) في كتابه مروج الذهب: "دخل الناسُ على عليّ عليه السلام يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين: رأيت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، وأنتم أبصر".^(٥)

ويقول أيضاً قال الناس لعليّ عليه السلام: "ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛

(١) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما برقم ٣٦٦٢.

(٢) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما برقم ٣٦٦٣.

(٣) ما ذكره المؤلف من أن أهل السنة لا ينكرون فضل عليّ وسائر أهل البيت فهذا حق وكتبهم تشهد بذلك، وأما قوله في تفضيل علي رضي الله عنه على سائر الخلفاء، فإطلاق غير صحيح بل أجمع أهل السنة أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل الصحابة وبأبي بعده عمر رضي الله عنه واختلفوا في المفاضلة بين علي رضي الله عنه وبين عثمان رضي الله عنه فجماهير أهل السنة على تفضيل عثمان رضي الله عنه وعلى هذا فعلي رضي الله عنه رابع الصحابة في الفضل رضي الله عنهم أجمعين وهذا لا يقتضي القدح في أحد منهم.

(٤) انظر الذريعة لآغا بزرك الطهراني ١/١١٠.

(٥) مروج الذهب ٢/٤١٢.

ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".^(١)

هذه آثار رواها الشيعة الإمامية عن عليّ عليه السلام في كتب تاريخهم وحديثهم، وقد نقل أهل السنة والشيعة والزيدية عنه عليه السلام ما يشبه هذه الآثار في كتبهم، مثل ما رواه أحمد بن حنبل في "مسنده"^(٢) قريباً من تلك الآثار التي نقلها الإمامية وهي من حجتنا عليهم عند الله.

مثل ما جاء في "مستدرك الوسائل"، و"وسائل الشيعة"، و"بحار الأنوار" للمجلسي أن علياً عليه السلام قال: "والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً، مظلوماً، حلال الدم أو حرام الدم، أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً، ولا يقدموا يداً أو رجلاً، ولا يبدؤوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم - (في بحار الأنوار لجميع أمرهم) - إماماً عفيفاً عالماً عارفاً بالقضاء والسنة".^(٣)

فهنا كما ترى أن علياً عليه السلام يعدّ الإمامة أمراً اختيارياً لا انتصائياً ومعيناً من الله سبحانه.

وبناءً على قول الإمامية كيف يفهم سبعة وسبعون ألف شخص من حديث الغدير أن علياً اختاره الله تعالى لأمر الخلافة ثم سكتوا كلهم وقبلوا خلافة أبي بكر وذلك بعد مضيّ أقلّ من شهرين؟!

هل المهاجرون الأولون الذين وعدهم الله بالجنة في سورة التوبة كفروا كلهم؟

لو فرضنا أن المهاجرين - معاذ الله - ارتدّوا واتخذوا أمر الله ورسوله وراء ظهورهم، فلماذا سكت الأنصار الذين لم ينتفعوا من هذا، ولم يختار الخليفة من

(١) مروج الذهب ٤١٢/٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١٣٠/١ رقم الحديث ١٠٧٨.

(٣) كتاب سليم بن قيس ص ٢٩١، بحار الأنوار ١٤٣/٣٣-١٤٤ وسائل الشيعة ١٩١/٤

مستدرك الوسائل ١٢٣/٧-١٢٤.

ولماذا لم يطيعوا أمر الله ورسوله ولم يبايعوا علياً؟ ألم يكونوا هم الذين نصروا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن هم قومه بقتله؟ أليسوا هم الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله؟ ألم يقل الله سبحانه فيهم: ﴿...وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

هل كل أولئك المؤمنون الحقيقيون تركوا أمر الله ورسوله في خلافة علي عليه السلام بغير دليل وبدون نفع الدنيا والآخرة؟ هل يمكن أن نغض الطرف عن هذه الدلائل الواضحة كلّها؟!!

لقد وضع المقال إن استفادوا ولكن أين من ترك العناد؟!!

الادعاء الثاني للشيعة الإمامية أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا معصومين من أي سهو وخطأ ونسيان فلا خطأ في آرائهم أبداً، ومن هنا يجب على المسلمين أن يتبعوهم في أمور فقهية وتفسيرية ولا يجوز التمسك إلا بالأحاديث التي وردت في كتبهم. (١)

وهذا الادعاء خطأ من وجوه:

أولاً: أجمع الإمامية والآخرين على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرفع أهل بيته كلهم شرفاً ومنزلةً ومع ذلك لم يكن مصوناً من الخطأ كما ثبت هذا بالقرآن حيث قال الله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿...لَمْ أَذَنْتَ...﴾ [التوبة: ٤٣]؟

(١) ينسب الشيعة العصمة بهذا المعنى للأئمة مع أن القمي ذكر في كتابه من لا يحضره الفقيه وهو من الكتب الأربعة المعتبرة عند أن نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مذهب للغلاة انظر ٢٣٤/١ فكيف يكون بعد ذلك من ضرورات المذهب...؟! انظر تنقيح المقال للمماقاني ٢٤٠/٣.

ويقول في آية أخرى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ

تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ [التحریم: ١].

هذه الآيات تُوضح أنَّ النبي أخطأ أحيانا وأذن للبعض أن يتخلفوا عن الجهاد، أو أوقع نفسه في المشقة، وحرّم نفسه من الحلال لا بتبغاء مرضات أزواجه.

ولكن هناك فرق بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والآخرين في أنَّ الله تعالى كان يطلع نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم على خطئه ويأمره بالإصلاح ولكن ليس هذا الارتباط إلاّ بين الله والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، من هنا كان الآخرون يخطئون ولم يطلعهم الله على خطأهم لأنهم ليس لهم مقام النبوة، هذه القاعدة تشمل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ونقل عنهم أخطاء في التاريخ سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثانياً: جاء في القرآن آيات صريحة تنسب النسيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها: ﴿...وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ [الكهف: ٢٤].

اتَّفَق المفسرون على أنَّ مشركي مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن أصحاب الكهف والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعدّهم أن يأخذ الجوابَ لهم من الوحي غداً ونسي أن يقول: (إن شاء الله) فقطع الله الوحيَ مدةً تنبيهاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتربية له ثم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ﴾

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

فكيف يكون أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصونين من كل أنواع النسيان والخطأ ألم يقل الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

وسلم: ﴿...وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ثالثاً: التاريخ يبين أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخطئوا في مواضع متعددة، في الأحكام وغيرها.

مثلاً جاء في نهج البلاغة أن علياً عليه السلام كتب رسالةً إلى واليه في شيراز يقول

فيها: "أما بعد فإن صلاح أهلك غربي منك، ظننت أنك تتبع هديته وتسلك سبيله".^(١)

ومنذر بن جارود هو الذي أخطأ فيه علي عليه السلام حيث أرسله والياً على

شيراز فتسلط على بيت المال وسرق منه أربعة آلاف درهم ثم هرب إلى معاوية

كما ذكر ذلك شارحوا نهج البلاغة.^(٢)

فكما ترى هنا حدث الخطأ، ولكن الله لم ينزل وحياً على علي عليه السلام

ليخبره عن خيانة منذر بن جارود ولم يطلع على أحواله وسرقة أموال الناس إلا

بعد فراره.

هناك شاهد آخر وهو أن الشيخ الطوسي يقول في كتابه تهذيب الأحكام:

"صلى علي عليه السلام بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل، فخرج مناديه إن

أمير المؤمنين صلى على غير طهر فأعيدوا، فليبلغ الشاهد الغائب".^(٣)

ومن هذا يتضح أن الخطأ والنسيان قد حدث من أهل البيت عليهم السلام.

كما روى محمد بن إدريس الحلي - وهو من أعلام الشيعة الإمامية - في

فصل في كتابه السرائر قوله: "ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام السهو فقال وهل

يفلت من ذلك أحد؟ ربما أقعدت الخادم خلفي حتى يحفظ علي صلواتي".^(٤)

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٦١.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٥/١٨-٥٧.

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي ٤٠/٣.

(٤) السرائر للحلي ص ٤٨٤، وانظر وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٥٣/٨.

وجاء في كتب علماء الشيعة الإمامية وتواريخهم أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان يخالف أباه الفاضل في بعض الأمور السياسية والدينية، فإذا قلنا كان الحق مع الإمام الحسن عليه السلام، فمعناه أنّ أباه قد أخطأ، وإذا قلنا الحق مع الأب فالابن هو المخطئ.

وكتب الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ في كتابه أخبار الطوال بمناسبة ذهاب علي عليه السلام إلى حرب الجمل فقال: "فدنا منه الحسن فقال: يا أبت أشرت عليك حين قتل عثمان وراح الناس إليك وغدوا وسألوك أن تقوم بهذا الأمر تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس في الآفاق، وأشرت عليك حين بلغك خروج الزبير وطلحة بعائشة إلى البصرة أن ترجع إلى المدينة فتقيم في بيتك، وأشرت عليك حين حوصر عثمان أن تخرج من المدينة فإن قُتل قُتل وأنت غائب فلم تقبل رأيي في شيء من ذلك".

هل يمكن أن يقال إنّ الإمام الحسن عليه السلام كان معصوماً من كل خطأ ومع ذلك لم يقبل علي عليه السلام رأيه؟ بالتأكيد لا.

لذا يردُّ علي عليه ويقول له: "فقال علي عليه السلام: أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق، فإن البيعة لا تكون إلا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والأنصار، فإذا رضوا وسلّموا وجب على جميع الناس الرضا والتسليم وأما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه فإن رجوعي لو رجعت كان غدراً بالأمة ولم آمن أن تقع الفرقة وتتصدّع عصا هذه الأمة، وأما خروجي حين حوصر عثمان فكيف أمني ذلك؟ وقد كان الناس أحاطوا بعثمان فاكفف يا بني عما أنا أعلم به منك".^(١)

وقد جاء نظير هذه الاعتراضات والأسئلة والأجوبة في مصادر الشيعة الإمامية صراحة كما نقرأ في كتاب المجالس للشيخ المفيد، وفي كتاب بحار الأنوار للمجلسي أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال لأُمير المؤمنين علي عليه السلام: "أخرج

(١) أخبار الطوال للدينوري، ص: ١٤٦.

من المدينة واعتزل فإن الناس لابد لهم منك وإئتهم ليأتونك ولو كنت بصنعاً، أخاف أن يقتل هذا الرجل وأنت حاضره".

قال عليّ في جوابه: "يا بني أخرج من دار هجرتي؟ وما أظن أحداً يجتر عليّ هذا القول؟! (١)"

ورأينا أن عليّاً عليه السلام لم يصب في ظنه واتهموه مع الأسف بأنه شارك في قتل عثمان. كما نقرأ شبيه تلك الآثار في الأماشي للطوسي وهو من أساطين الإمامية (٢). كل هذا يدلّ على أنّ الخطأ حدث بالفعل لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

دليل آخر يثبت ذلك وهي الأحاديث المتناقضة التي نُقلت عن الأئمة في الكتب الفقهية للشيعة الإمامية بحيث لم يمكنّ لهم حملها على التقية لأنّه ليس هناك شيء يوجب الخوف والتقية كهذين الحديثين الذين روي أحدهما عن جعفر الصادق والآخر عن ابنه موسى عليهم السلام.

جاء في باب الطهارة من كتاب وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي أنّ محمد بن يعقوب الكلبي روى عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن حفص بن البخترى عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله الصادق أنّه قال في زيارة القبور: "إنهم يأنسون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا". (٣)

وفي رواية أخرى روى محمد بن علي بن حسين (ابن بابويه) بإسناده إلى صفوان بن يحيى أنّه قال: "قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر: بلغني أنّ المؤمن إذا أتاه الزائر أنس به فإذا انصرف عنه استوحش فقال لا يستوحش". (٤)

أمثال تلك الروايات تُثبت لنا أنّ للأئمة آراء مختلفة، وأحياناً متضادة لا

(١) بحار الأنوار ٤٨٧/٣١.

(٢) الأماشي للطوسي، ص: ٧١٤.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٢٢/٣، الكافي للكليني ٢٢٨/٣.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٢/٣.

وقصة اختلاف الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام على قضية الصلح بين الحسن ومعاوية مشهورة بين الشيعة والسنة وقد جاءت في كتب الفريقين^(١) وهي تدلُّ على أنَّ أحد الفاضلين قد أخطأ.

وهنا استدلل الشيعة الإمامية بآية التطهير^(٢) الشريفة: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فتدعي الشيعة أنَّ هذه الآية تدل على عصمة أهل البيت عن كل أنواع الخطأ فنقول:

أولاً: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بريئاً عن الخطأ بنص القرآن فكيف بأهل بيته؟

ثانياً: الآية المذكورة تدل على رفع الرجس عن أهل البيت، والخطأ ليس من الرجس، إنما الرجس سببه المعصية.

ثالثاً: هذه الآية تدل على الإرادة التشريعية في رفع الرجس عن أهل البيت، لا الإرادة الكونية التي تلزم الجبر.

وقد وردت نصوص كهذه في الطهارة لعموم المسلمين ولا تختص بأهل البيت كما قال تعالى: ﴿...وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...﴾ [المائدة: ٦].

وهذا لا يدل على أنَّ كل المؤمنين يريثون عن الخطأ والنسيان والمعصية. **والخلاصة** أنَّ أهل البيت كسائر الناس ليسوا بمعصومين عن السهو والخطأ فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجّة علينا لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان في حفظ الله ورعايته كما قال سبحانه ﴿...فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾

(١) حياة (زندكي) إمام حسين، تأليف محمد علي خليلي.

(٢) هذه ليست آية مستقلة بل جزء من آية فتنبه.

أما أهل البيت فليسوا كذلك وهكذا الأنبياء إذا نسوا أو أخطأوا ذكرهم الله ليتم حجته على الناس عن طريقهم كما قال سبحانه: ﴿...لَعَلَّأ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾ [النساء: ١٦٥].

وقد ادعى الشيعة الإمامية أنه لا يجوز أن نأخذ الفقه الإسلامي إلا عن أهل البيت لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً".^(١)

الجواب: هذا الحديث فرض صحته - لأنه جاء في بعض الروايات "كتاب الله وسنتي"^(٢) - لا يفيد وجوب أخذ الفقهاء الفقه الإسلامي عن طريق أهل البيت فقط حيث قال الله سبحانه في كتاب الكريم: ﴿...فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهذه الآية تدل صراحة على أن انتقال الفقه الإسلامي إلى الناس لم يكن منحصرًا عن طريق أهل البيت بل كان يأتي من كل طائفة ينفرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتفقهون عنده ثم يرجعون إلى قومهم ويعلمونهم الأحكام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

كما جاء في التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُرسل أصحابه إلى الأقوام لتعليمهم أحكام الله كإرسال معاذ بن جبل إلى اليمن، وحادثة بئر معونة، والرجيع في التاريخ مشهورة، حيث أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدداً من أصحابه إلى بعض الأقوام ليعلموهم الكتاب والأحكام، ولكن قتلهم الأعراب في الطريق.

(١) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أهل البيت رقم ٣٧٨٦.

(٢) سنن الدار قطني ٢٤٥/٤، سنن البيهقي ١١٤/١٠.

والخلاصة أن تبليغ دين الله لم يكن محدوداً ومنحصرًا في أهل البيت كي يلزم منه وجب أخذ الفقه منهم فقط، بل كان كبار الصحابة أيضاً مبلغين لهذا الدين، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول بعد الانتهاء من بعض خطبه: "فليبلغ الشاهد الغائب" ويقول: "نُضِرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وأداها إلى من لم يسمعها، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه".^(١)

ولأجل هذا فإننا إذا أردنا معرفة الفقه الإسلامي فإنه يجب علينا أن نرجع إلى آثار الصحابة التي جاءت في كتب الصحاح لأهل السنة ونسمي الصحابة فقهاءً، كما يلزمنا أن نرجع إلى أحاديث أهل البيت التي جاءت في كتب الإمامية والزيدية ونبيّن الصحيح من السقيم وندرس فقه الإسلام من جميع الأطراف.

وبهذا يستطيع فقهاء أهل السنة والزيدية أن يخرجوا فقه الإمامية من مشكلة رئيسة وهي أن فقهاء الإمامية خاصة المعاصرين يعدّون خبر الآحاد حجّة، ويخصّصون القرآن الكريم به، وبناءً على قولهم لا يكون خبر الواحد حجّة إلاّ عند انسداد باب العلم، أي إذا لم يوجد طريق إلى العلم بالأحكام يميلون إلى الظن ضرورة لأنّ خبر الواحد ظنيّ بدليل أنه لا يمكننا أن نوقن أن الراوي لم يكذب، وبفرض حصول الاطمئنان على صدقه، لا نوقن أنّه لم ينس، أو لم يخطئ، خاصة أن الأئمة أجازوا أن تُروى الأحاديث بالمعنى رواية حديث من أفراد متعددة ومع القرون المتعاقبة يقوي احتمال التغير في مفاده، ولكن إذا راجعنا فقه الزيدية وأهل السنة ورأينا حديثاً رُوي عن طرق متعددة وبأسانيد مختلفة فقط نظمنا إلى صحته فخير الواحد لا يكون حجّة إلاّ إذا كان باب العلم مسدوداً.

والحمد لله فهذا الباب ليس مسدوداً، ولكن فقهاء الإمامية لا يريدون

الدخول منه ويكتفون بأخبار الآحاد الضعيفة والظنية، وبالتالي يصلون إلى أحكام عجيبة غريبة، خاصة أن الأئمة التزموا بالتقية خوفاً من خلفاء بني أمية وبني العباس ولم يظهروا آراءهم صراحةً.

ثم لا توجد كتب فقهية للشيعة يُعتمد عليها، لأنّ تدوين كتبهم كانت بعد عصر الأئمة وجمعت فيها الأخبار الصحيحة والسقيمة خلافاً للمذهب الزيدية لأنّ بين أيديهم كتاب مجموع الفقه، أو المسند للإمام زيد كتبه تلميذه أبو خالد الواسطي على إملاء أستاذه، وهكذا فهناك كتب لفقهاء أهل السنة كالموطأ للإمام مالك، والأئم للإمام الشافعي، والمسند للإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً.

ولكن لا يوجد كتابٌ فقهِيٌّ لأئمة الشيعة، حيث جمع الآخرون رواياتهم المتضادة والمختلفة في قرونٍ متأخرة كالكتب الأربعة: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه ومن هناك يلزم العلماء المنصفين المقارنة بين آثار الإمامية وروايات المذاهب الأخرى والمشاركة في هذا الأمر مشاركةً علمية لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ [الإسراء: ٣٦].

والسلام عليكم على من اتبع الهدى واجتنب الهوى.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة المعلق	٣
٢	ترجمة المؤلف	٦
٣	المولد والمنشأ	٧
٤	من الذكريات الجميلة	٧
٥	الدعوة والنشاط عند قلمداران	٨
٦	الغيرة والحمية عند قلمداران	٩
٧	علاقة الأستاذ قلمداران بالحميني	١٠
٨	تأثير قلمداران على الآخرين	١١
٩	مؤلفاته	١٧
١٠	بداية الرسالة	١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

.. إن الوحدة الإسلامية مطلب مُلِح في هذه المرحلة من حياة الأمة، وإن أعظم طريق للوحدة الإسلامية أن ينظر كل مسلم ما عنده من تراث وأفكار بعين الطالب للحق الباحث عن الحقيقة، لا يهمه أن يظهر الحق على لسانه أو لسان غيره سائراً أما يراه من روايات وأقوال جاعلاً القرآن وصحيح الروايات مطلبه ومقصده، وهذه الرسالة خطوة مباركة في طريق الوحدة الإسلامية. كتبها الأستاذ الكبير حيدر علي قلمداران القمي فأرجو منك أن تعيش في صفحاتها وأنت متجرد لطلب الحق والمهدى.